الإسراء والمعراج

بقلم

علي محمد شاكر

خرج أحاديثه وعلق عليه

حسين الجمل

الناشر

مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي

مكتبة منار السبيل بالهرم
طباعة . نشر . توزيع
ت : ٥٣٤٩٤١

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ

قامت بإعادة نشر هذه الرسالة القيمة

مكتبة منار السبيل بالحرم
طباعة . نشر . توزيع
ت : ٥٣٤٩٤١

مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
الهرم - الطالبية - الجوهرة - ناصية ش محمد
عبد الهادى بجوار مسجد محمد عبد الهادى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

إن حادثة الإسراء والمعراج من الأحداث التاريخية الإسلامية العظام ، توافرت الهمم والعقول على التأريخ لها ، وتدوين وقائعها إجمالاً وتفصيلاً ، وسرد أحداثها العظيمة رواة ثقات عدول ، وأخرجها أصحاب الكتب الصحاح ، والسنن ، والمسانيد ، بل وأفردها أهل العلم بالتصنيف والشرح ، وهذا يعطينا مدى اهتمام المسلمين الأوائل بالتاريخ الإسلامى لا باعتباره أحداثاً تقوم على الرواية والسرد فقط ، بل باعتباره تاريخ حضارة بكل ماتعنى هذه الكلمة من مفاهيم اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، فنجدها فى كتب أصحاب السير ، وكذا فى كتب التفاسير ، وكتب أصحاب الحديث ، مما يعطى الدلالة على أن علم التاريخ نشأ وتربى فى أحضان علم الحديث الذى يقوم على قواعد دقيقة فى قبول أو رد الرواية .

وإذا كان العرب قبل الإسلام قد اهتموا بوقائعهم والتى تعرف باسم « أيام العرب » إلا أن هذه العناية كانت تدور على الأفراد مما يجعل الواقعة التاريخية تقوم وتموت بموت أشخاصها ، فإن التاريخ الإسلامى تطور وأصبح ذا صبغة تاريخية تصطبغ بالوعى التاريخى الذى يقوم على دراسة الأحداث التاريخية باعتبارها تاريخاً لحياة الأمة بأسرها .

والآن ينبغى على أبناء هذه الأمة أن يتجهوا بأبصارهم وبصيرتهم إلى هذا التاريخ الشامخ ليدرسوه ويتدارسوه فيما بينهم ليأخذوا منه العبرة والعظة ، وهذا هدف أساسى من أهداف التأريخ ، ثم يتناولوا تلك الأحداث باعتبارها تاريخ حضارة بجوانبها السياسية والاقتصادية ، والله المسئول أن يوفّق المخلصين من أبناء هذه الأمة لكل خير وصلاح .

وكتبه / حسين إسماعيل حسين

الإسماعلية

١٥ من جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ

٢٦ /١/ ١٩٨٩م

بين يدى الإسراء

* **المعنى اللغوى للإسراء والمعراج والبُراق :**

الإسراء فى اللغة مصدر سرى وأسرى ، وهما بمعنى واحد ، وبالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعًا ، وهو سير عامة الليل ، قال أبو عبيد عن أصحابه : سريتُ بالليل وأسريتُ ، فجاء باللغتين . وقال أبو إسحاق فى قوله عز وجل : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده** ﴾ قال : معناه سيّر عبده . يقال : أسريتُ وسريتُ إذا سرتُ ليلاً . وأسراه وأسرى به : مثل أخذ الخطام ،وأخذ بالخطام وإنما قال سبحانه : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً** ﴾ – وإن كان السُّرى لايكون إلا بالليل – للتأكيد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ معنى يسر : يمضى – قاله أبو إسحاق : سرى يسرى إذا مضى ، قال : وحُذفت الياء من يسرى لأنها رأس الآية ، وقال غيره : قوله تعالى : ﴿ **وَالليْلِ إذا يسر** ﴾ إذا يُسرى فيه ، كما قالوا : ليل نائم ، أى يُنام فيه .

والخلاصة أن الله سبحانه وتعالى سيَّر عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم — ليلاً — من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

والمعراج : السُّلَّمُ ، ومنه ليلة المعراج ، مفعال من العروج وهو الصعود ، فهو آلة له ، وقد عُرج بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

من بيت المقدس إلى السموات السبع وما فوق السبع عند سدرة المنتهى عند جنة المأوى وذلك فى جزء من الليل .

وأما البراق : فهو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة الإسراء ، سُمِّى بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه ، وقيل لسرعة حركته شبَّهَهُ فيهما بالبرق . قاله ابن الأثير .

ثبوت الإسراء والمعراج بالكتاب والسنة :

ثبت الإسراء والمعراج بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . قال الله تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ [الإسراء (١)] وقد وردت الأحاديث المتكاثرة الصحيحة التى رواها الثقات العدول وتلقتها الأمة بالقبول ، منها مارواه الشيخان فى « صحيحيهما » وكفى بهما حجة ، ورواه الأكابر من الصحابة منهم جابر بن عبد الله ، ومالك بن صعصعة ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبوذر ، وأبوهريرة ، وابن مسعود ، رضى الله عنهم .

وقوع الإسراء والمعراج فى ليلة واحدة :

ذهب الجمهور من العلماء إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وروحه بعد البعثة ، وعليه دلت ظواهر الأخبار الصحيحة ، وهذا هو الحق الذى لامرية فيه ، وليس فى العقل ما يمنع وقوعه سيما المخترعات العلمية الحديثة أفسحت للعقول إمكان وقوع ذلك ، بما قدمته من خوارق كانت فى الزمان الماضى لايتخيل العقل وقوعها . وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن المعراج وقع فى ليلة الإسراء ، ففى صحيح مسلم

من رواية ثابت عن أنس قوله « أُتيتُ بالبراق فركبت حتى أتيت بيت المقدس » فذكر القصة إلى أن قال « ثم عُرج بنا إلى السماء الدنيا »(١) فدل ذلك على اتحاد الإسراء والمعراج فى ليلة واحدة .

* **الحكمة فى الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء :**

قال الحافظ فى « الفتح » (٧ / ٢٠٠ — ٢٠١) : « قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : الحكمة فى الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده ، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح فلما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك . فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ماذكر فكان ذلك زيادة فى إيمان المؤمن ، وزيادة فى شقاء الجاحد والمعاند . »

* **الإسراء بالجسد والروح معاً :**

اتفق الأكثرون من العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أُسرى ببدنه وروحه فى اليقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البُراق ، وهو مايدل عليه ظواهر الآيات والأحاديث الصحاح ، قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى رحمه الله ، فى « جامع البيان » (١٥ /٢٦ ط — دار الفكر) : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وعلى

---

(١) الحديث فى « صحيح مسلم » . مطولاً (٢٥٩) وانظر أيضاً « فتح البارى » (٧ / ١٩٨) .

آله وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أن الله حمله على البراق حين أتاه به ، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل ، فأراه ما أراه من الآيات ، ولامعنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده ، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك مايوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوّته ، ولاحجة له على رسالته ، ولاكان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك ، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، إذ لم يكن منكرًا عندهم ، ولاعند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ماعلى مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ؟

وبعد ، فإن الله إنما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزاً لأحد أن يتعدّى ماقال الله إلى غيره .

* **قصة الإسراء والمعراج من المتواتر :**

ذكر الشيخ المحدث الكتانى ، رحمه الله ، أن قصة الإسراء من المتواتر (ص ٢٠٧ — ٢٠٨) تبعاً للسيوطى ، رواه سبعة وعشرون نفساً من طبقة الصحابة رضى الله عنهم وزاد عليه الحافظ الشامى عدداً آخر ممن لم يذكره السيوطى فى « الأزهار المتناثرة » فمجموع ماذكره السيوطى والحافظ الشامى خمسة وأربعون صحابياً[1] وذكر الحافظ السخاوى فى « فتح المغيث » عن الحاكم أن قصة الإسراء من جملة ماتواتر من الأحاديث فقال : « والحاكم حديث خطبة عمر بالجابية ،

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، للعلامة الكتانى .

والإسراء »[1]. لذا فقد قرّر الكتانى أن الإسراء متواتر وكونه صلى الله عليه وعلى آله وسلم على البراق متواتر أيضاً ، وكذا قرّره الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » فقد ذكر حديث الإسراء وقال : وقد تواترت الروايات فى حديث الإسراء — ثم ذكر الصحابة الذين رووا حديث الإسراء — ثم قال : منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ماوقع فى المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة ، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[2].

* **مضمون قصة الإسراء والمعراج :**

إذا وقف القارىء على روايات الإسراء تخلص له من ذلك هذا المضمون :

أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد دخله وصلى فى قبلته ركعتين تحية المسجد ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسُّلّم ذو درج يرق فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع ، وفى كل سماء يتلقاه مقربوها ، وسلّم على الأنبياء الذين فى السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، ففى السماء الدنيا آدم عليه السلام ، وفى الثانية ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، وفى الثالثة يوسف عليه السلام ، وفى الرابعة إدريس عليه السلام ، وفى الخامسة هارون عليه السلام ،

---

(١) فتح المغيث للحافظ السخاوى (٣ / ٤١) .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٢٤) .

وفى السادسة موسى عليه السلام ، وفى السابعة إبراهيم عليه السلام ، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، أى أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة ، ورأى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ثم لايعودون إليه ، ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمسة رحمةً منه ولطفاً ، وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها حيث فرضت فى ذلك المحل الأقدس .

ثم هبط إلى بيت المقدس ، فصلى بالأنبياء إماماً لما حانت الصلاة إظهاراً لشرفه وفضله عليهم ، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم[1].

* وهذه الرسالة التى نقدمها اليوم هى لعالم من العلماء القلائل الذين أثبتوا وثبتوا على الحق ، ولا ضير فإنه سليل بيت علم فوالده الشيخ محمد شاكر الفقيه المعروف وأخوه الشيخ المحدث أحمد شاكر وهو غنى عن التعريف ، ثم أخوه الأديب الأريب العالم الأستاذ محمود شاكر — حفظه الله تعالى . وقد اعتمدنا فى نشر هذه الرسالة على نشرتها الأولى المطبوعة فى عام ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

نسأل الله أن ينفع بها ويثيب الجميع فى الدنيا و الآخرة إنه خير مسئول .

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣ / ٢٢ — ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمدا عبده ورسوله .

(**أما بعد**) فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَـٰنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِن الْمَسجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَـٰتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾
[الإسراء آية ١]

﴿ **سبحان** ﴾ علم للتسبيح منصوب انتصاب المصادر تقديره أسبح سبحان[١] ﴿ **الذى أسرى بعبده ليلا** ﴾ أى أمر الملك وهو جبريل عليه

(١) قال ابن الأثير فى « النهاية » : أصل التسبيح : التنزيه و التقديس والتبرئة من النقائص ، ثم استعمل فى مواضع تقرب منه اتساعاً ، يقال سبّحته أسبّحه تسبيحاً وسُبحاناً ، فمعنى سبحان الله : تنزيه الله ، وهو نَصْب على المصدر بفعل مضمر ، كأنه قال : أُبَرِّئُ الله من السوء براءة .
وقال ابن منظور فى « لسان العرب » : قال الزّجّاج فى قوله تعالى : ﴿ **سبحان**=

السلام أن يسير به ليلا يقظة روحا وجسداً[1] ﴿ **من المسجد الحرام** ﴾ مسجد مكة حيث كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الحِجْر عند البيت بين النائم واليقظان ، ﴿ **إلى المسجد الأقصا** ﴾ مسجد بيت المقدس وهو على مسيرة أربعين ليلة مابين مكة والشام ، ﴿ **الذى باركنا حوله** ﴾ ببركات الدين والدنيا لأنه متعبَّد الأنبياء موسى وعيسى وغيرهما من النبيين ومهبط الوحى ؛ ﴿ **لنريه من آياتنا** ﴾ التى شرف الله تعالى بها نبيه

= **الذى أسرى بعبده ليلاً** ﴾ قال : منصوب على المصدر ، المعنى أسبِّح الله تسبيحاً . قال : وسبحان فى اللغة تنزيه الله عز وجل عن السوء ، قال ابن شُميل : رأيتُ فى المنام كأن إنساناً فسَّر لى سبحان الله . فقال : أما ترى الفرس يَسْبَحُ فى سرعته ؟ وقال : سبحان الله : السرعة إليه والخفة فى طاعته ، وجماع معناه بُعْدُهُ تبارك وتعالى عن أن يكون له مِثْلٌ أو شريك أو نِدٌّ أو ضدٌّ .

(١) قال الحافظ ابن كثير فى « تفسير القرآن العظيم » (٣ / ٢٣) : اختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين ، فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناماً ولاينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعد يقظة لأنه كان عليه السلام لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله** ﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مُستعظَماً ، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال : ﴿ **أسرى بعبده ليلاً** ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ قال ابن عباس هى رؤيا عين أُرِيَها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به ، ﴿ **والشجرة الملعونة** ﴾ هى شجرة الزقوم . رواه البخارى . وقال تعالى : ﴿ **مازاغ البصر وما طغى** ﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لاتحتاج فى حركتها إلى مركب تركب عليه ، والله أعلم .

فى هذه الليلة المباركة العظيمة الشأن ، ﴿ **إنه هو السميع** ﴾ لأقوال نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ **البصير** ﴾ بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك من المراتب العالية[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِه مَاأَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى ما يَرَى ، وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مايَغْشَى ، مَازَاغ البَصرُ وَمَاطَغَى ، لَقَدْ رَأَى من آيَـٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرى ﴾ [النجم الآيات ١ : ١٨]

﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ أقسم بجنس النجوم أو بالثريا إذا انتثرت يوم القيامة أو انقضت أو طلعت [2]﴿ **ماضل صاحبكم** ﴾ ما عدل ورجع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن صراطه المستقيم ﴿ **وما غوى** ﴾ وما اعتقد باطلا ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾ وما يصدر نطقه بالقرآن عن شهوة النفس

---

(١) ﴿ **إنه هو السميع** ﴾ لمقالة قريش (**البصير**) بهم وبسير عبده محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قاله ابن عباس فى كتاب « تنوير المقباس » .

(٢) قال الشعبى وغيره : الخالق يُقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لاينبغى له أن يقسم إلا بالخالق . ذكره ابن كثير فى « التفسير » وفى هذا إشارة إلى تحريم الحلف بغير الله تعالى من المخلوقات كأن يقول : والكعبة ، والنبى ، وحياتك ... ! وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر مرفوعاً : « من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله » رواه النسائى وغيره واللفظ له .

وغلبة الأهواء ﴿ **إن هو** ﴾ أى ماالقرآن الذى ينطق به ﴿ **إلا وحى يوحى** ﴾ أى يوحيه الله إليه و لم يكن من تلقاء نفسه ﴿ **علمه شديد القوى** ﴾ أى مَلَكٌ شديدٌ قواه وهو جبريل عليه السلام الذى أرسله الله تعالى إليه بالقرآن وهو الواسطة فى الوحى وإبداء الخوارق والمعجزات النبوية ﴿ **ذو مِرّة** ﴾ ذو حصافة فى عقله ورأيه ﴿ **فاستوى** ﴾ فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها و لم ير أحد من الأنبياء جبريل فى صورته الحقيقية إلا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم . رآه مرتين مرة فى السماء ومرة فى الأرض ﴿ **وهو بالأفق الأعلى** ﴾ وهو أى جبريل بالأفق الأعلى أى بالسماء ﴿ **ثم دنى** ﴾ جبريل من النبى ﴿ **فتدلّى** ﴾ أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ **فكان** ﴾ جبريل من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ **قاب قوسين** ﴾ أى مقدارهما ﴿ **أو أدنى** ﴾ من ذلك ﴿ **فأوحى** ﴾ الله تعالى ﴿ **إلى عبده مأأوحى** ﴾ به إليه من فرض الصلوات الخمس وأجرها عنده تعالى وأن الحسنة بعشر أمثالها وغير ذلك مما أكرمه به ربه ﴿ **ماكذب الفؤاد مارأى** ﴾ أى ماكذب فؤاد محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام ﴿ **أفتمارونه على مايَرى** ﴾ أفتجادلونه على ماقد رآه حقيقة ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ أحقق وأؤكد أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى جبريل فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها مرة أخرى ، ﴿ **عند سدرة المنتهى** ﴾ شجرة نبق عن يمين العرش فى السماء السابعة ﴿ **عندها جنة المأوى** ﴾ التى يأوى إليها المتقون وفيها حبائل اللؤلؤ وترابها المسك ﴿ **إذ يغشى السدرة ما يغشى** ﴾ من عظمة الله تعالى وجلال عرشه حيث تحوط بها ألوان لم يدر أحد ما هى ﴿ **مازاغ البصر** ﴾ ما مال بصر محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عما رآه ﴿ **وما طغى** ﴾ وما تجاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا ﴿ **لقد**

رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج ، فسبحان من كرم عبده واصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وذهب غير واحد من العلماء إلى أن الموصوف فى قوله تعالى : ﴿ علَّمه شديد القوى ﴾ إلى قوله ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ إنما هو الله تعالى ، وأن السياق فى أمر الوحي وتلقيه ، وأن الضمير فى قوله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلّى ﴾ إلى آخر الآيات يعود إلى الله تعالى ، وأن ذلك فى أمر العروج إلى الجناب الأقدس ودنوه سبحانه وتعالى منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورؤيته عليه الصلاة السلام ربه عز وجل . وهذا لا يتنافى مع قوله تعالى : ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ [الأعراف آيه ١٠٣] لأن المراد بالإدراك هنا إدراك الإحاطة ، وهو المراد بإنكار السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربه[1] فعائشة إنما أنكرت الرؤية التى يدعيها المجسمة وهى رؤية الإحاطة وأما الرؤية على وجه الإدراك بغير إحاطة

---

(١) وهو ماوراه مسلم فى « صحيحه » (٢٨٧) من طريق الشعبى ، عن مسروق ، قال : كنتُ متكئاً عند عائشة . فقالت : ياأبا عائشة ، ثلاث من تكلَّم بواحدةٍ منهنَّ فقد أعظم على الله الفِرية . قلتُ : ماهنَّ ؟ قالت : من زعم أن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفرية . قال : وكنت متكئاً فجلستُ . فقلت : ياأمَّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني . ألم يقل الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ ﴿ ولقد رآه نزلةً أخرى ﴾ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال « إنما هو جبريل . لم أره على صورته التى خُلق عليها غير هاتين المرتين . رأيته منهبطاً من السماء . ساداً عِظَمُ خلقه مابين السماء والأرض » فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ . أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول ﴿ وما كان لبشر أن يُكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولاً فيوحِيَ بإذنه مايشاء إنه عليٌّ حكيم ﴾ .... الحديث . ورواه أيضاً البخارى (٤٨٥٥) من طريق عامر بنحوه وانظر شرح النووى لحديث عائشة فى « الصحيح » =

فلا مجال لإنكارها والأمر فى ذلك كما قال مالك رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ [طه آيه ٥] الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن ذلك بدعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وبالسند(*) المتصل إلى الإمام البخارى رضى الله تعالى عنه قال : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ [الإسراء آية ٦٠] قال هى رؤيا عين أُرِيَها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس »(١).

وقال :

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ،

= (٤١٦/١ - ٤١٧) مع الاحتراز لما فى كلام القاضى عياض من التأويل ، والله الموفق .

(*) قال المؤلف رحمه الله : عن أشياخنا الأعلام سيدى ومولاى الوالد الشيخ محمد شاكر ، والسيد عبد الله بن إدريس السنوسي الحسني المراكشى ، والشيخ محمد بن الشمس الشنقيطى ، والشيخ سعيد الموجى ، والشيخ بسيونى عسل ، والشيخ عبد المعطى السقا وشقيقى الأكبر الشيخ أحمد محمد شاكر عن شيخه الإمام الشيخ سليم البشرى شيخ الإسلام والمسلمين في عصره وهو الذى يرثيه شاعر مصر الكبير حافظ بك إبراهيم بقوله:

موطا مالك عز البخارى ودع لله تعزية الكتاب

وكلهم بسندهم المتصل إلى الشيخ الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبة البخارى الجعفى ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وقيل لاثني عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور وتوفى بخرتنك ليلة السبت بعد صلاة العشاء ليلة عيد الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين رضي الله تعالى عنه . وصحيحه هو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى على ماحققه جمهور العلماء .

(١) رواه البخارى (٣٨٨٨ و ٤٧١٦ و ٦٦١٣) .

حدثنى أبوسلمة بن عبد الرحمن ، سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : لما كذّبتنى قريش قمتُ فى الحِجْر ، فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[1].

وقال :

حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام ، عن معمر ح حدثنى محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، قال أخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به : « لقيت موسى قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مضطرب (أى طويل غير شديد أو خفيف اللحم) رَجِلُ الرأس (كأنه ممشط شعر الرأس) كأنه من رجال شَنُوءَةَ (حى من اليمن طوال الأجسام) قال : ولقيت عيسى فنعته النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : رَبْعَة أحمر (ربعة لا طويل ولا قصير) كأنما خرج من ديماس يعنى الحمام ، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به ، وقال : وأتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر

(١) رواه البخارى (٣٨٨٦ و ٤٧١٠) .

وقد استطاع العلماء فى العصر الحديث أن يستفيدوا من الأثير بما أودعه الله فيه من قوة وتأثير ، فوصلوا إلى اختراع « التليفون المصور » والذى يُرى فى شاشته صورة المتحدث معه ، وهو على بُعد آلاف الأميال ، فلا عجب إذن فى القدرة الإلهية الكاملة أن تنطبع فى صفحة الكون صورة بيت المقدس أمام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيراه عياناً ويصفه لقومه وهذا من المعجزات النبوية ، فإن كذّب بها بعض الأولين ، فليت شعرى لم يكذّب بها بعض أهل هذا الزمان مع وقوع تلك المخترعات الحديثة؟، وهى قرائن دالة على إمكان وقوع ذلك فى الصدر الأول ، فإن هذا من ذاك ، ولله تعالى المثل الأعلى .

فيه خمر فقيل لى : خذ أيهما شئت ، فأخذت اللبن فشربته فقيل لى : هُديتَ الفطرة أو أصبتَ الفطرة : أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك »[1].

وقال :

حدثنا هُدبة بن خالد ، قال : حدثنا همام : عن قتادة ح وقال لى خليفة : قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد وهشام قالا : حدثنا قتادة ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما ، قال قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بينا أنا عند البيت (أى الكعبة) بين النائم واليقظان وذكر يعنى رجلا بين الرجلين فأُتيتُ بطستٍ من ذهب ملىء حكمة وإيمانا ، فَشُقَّ من النحر إلى مراق البطن ، (النحر الصدر ومراق البطن ماسفل من البطن ورق جلده) ثم غُسل البطن بماء زمزم ثم ملىء حكمة وإيمانا ، وأتيت بدابةٍ أبيضَ دون البغل وفوق الحمار البُراق (سمى بالبُراق من البرق لشدة سرعته وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره فى منتهى طرفه) فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجىء جاء ، فأتيت على آدم فسلمتُ عليه فقال : مرحبا بك من ابن ونبى ، فأتينا السماء الثانية قيل : من هذا ؟ قال : جبريل.قيل : من معك ؟ قال:محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.قيل:أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل:مرحباً به ولنعم المجىء جاء فأتيتُ على عيسى ويحيى فقالا مرحبا بك من أخ ونبى فأتينا السماء الثالثة قيل :

---

(١) رواه البخارى (٣٣٩٤ و ٣٤٣٧ و ٤٧٠٩ و ٥٥٧٦ و ٥٦٠٣) .
ومسلم (٢٧٢) .
واللفظ للبخارى فى الموضع الثانى من التخريج .

من هذا ؟ قيل : جبريل : قيل : من معك ؟ قال : محمد قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت يوسف فسلمت عليه : فقال : مرحبا بك من أخ ونبى ، فأتينا السماء الرابعة قيل : من هذا ؟ قيل جبريل قيل : من معك ؟ قيل : محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قيل : وقد أرسل إليه ؟ قيل نعم قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال : مرحبا بك من أخ ونبى فأتينا السماء الخامسة قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم : قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال : مرحبا بك من أخ ونبى . فأتينا على السماء السادسة قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل قيل : من معك ؟ قيل : محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال : مرحبا بك من أخ ونبى ، فلما جاوزت بكى فقيل : ماأبكاك ؟ قال : يارب هذا الغلام الذى بُعِثَ بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي . فأتينا السماء السابعة قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : من معك ؟ قيل محمد : قيل : وقد أُرسل إليه ؟ مرحبا به ونعم المجيء جاء ، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال : مرحبا بك من ابن ونبى . فرُفع لى البيت المعمور (وهو بيت فى السماء السابعة تجاه الكعبة وسمى معمورا لكثرة من يغشاه من الملائكة) فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف مَلَكٍ ، إذا خرجوا لم يعودوا وإليه آخِرَ ما عليهم (آخر بالنصب على أنه ظرف وبالرفع على تقدير ذلك آخر ماوجب عليهم من دخوله) ورفعت لى سِدْرة المنتهى فإذا نَبِقُها كأنه قِلالُ هَجَرٍ (وهى مدينة باليمن قاعدة البحرين والقلة تَسَعُ مائتين وخمسين رطلا بغداديا) وورقها كأنه آذان

الفيول في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات (يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى ثم يخرجان من الأرض ويجريان فيها) .
ثم فُرِضَتْ عليَّ خمسون صلاةً ، فأقبلت حتى جئت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلتُ فُرِضَتْ عليّ خمسون صلاة ، قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة ، وإن أمتك لاتطيق فارجع إلى ربك فسله (أى فاسأله التخفيف عن أمتك كما فى بعض الروايات) فرجعت فسألته فجعلها أربعين ثم مثله ، ثم ثلاثين ثم مثله ، فجعل عشرين ثم مثله ، فجعل عشرا ، فأتيت موسى فقال مثله ، فجعلها (أى ربى) خمسا ، فأتيت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلت جعلها خمسا ، فقال مثله قلت: سَلَّمتُ بخير .
فنودى إنى قد أمضيتُ فريضتى وخففتُ عن عبادى وأجزى الحسنة عشرا[1] » .

وفى رواية أبى ذر رضى الله عنه بعد ذلك :

ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوانٌ لا أدرى ماهى ثم أُدخِلتُ الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك[2].

* * *

ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى هذه الليلة المباركة

---

(١) رواه البخارى (٣٢٠٧ و ٣٨٨٧) ومسلم (٢٦٤) .
واللفظ للبخاري في الموضـع الأول ، وقد ضبطتُ النص على النسخة المطبوعة على النسخة السلطانية والتى بدورها نسخت وصححت على النسخة اليونينية . وما بين الأقواس فهو من المؤلف رحمه الله .

(٢) رواه البخارى (٣٤٩) مطولاً . ومسلم (٢٦٣) مطولاً .
واللفظ للبخارى .

من آيات ربه الكبرى وبيناته تشريفا لقدر نبينا وتعظيما .

فبينما هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسير على البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، إذ رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار ، كلما التفت رآه . فقال له جبريل ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه ؟ (أى لفمه يعنى وقع على وجهه) فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : بلى ! فقال جبريل : قل :أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض ، ومن شر مايخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن ، فانكب (أى الجن) على فيه وطفئت شعلته .

ثم سار حتى أتى على قوم يزرعون فى يوم ، ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : ياجبريل ! ماهذا ؟ فقال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه .

ثم سار فوجد ريحا طيبة فقال : ياجبريل ! ما هذه الرائحة ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ، بينما هى تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط فقالت : بسم الله تعس فرعون . فقالت بنت فرعون : أولك رب غير أبى ؟ فقالت : نعم فقالت : أفأخبر أبى بذلك ؟ قالت : نعم فأخبرته فدعاها فقال : أولك رب غيرى ؟ قالت : نعم ربى وربك الله ... وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل إليهم ، فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا ، فقال : إنى قاتلكما ، قالت : إحسانا منك إن قتلتنا أن تجعلنا فى بيت واحد فتدفننا فيه جميعا ، قال : ذلك لك بمالك علينا من الحق .. فأمر ببقرة

من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها وبأولادها ليلقوا فيها ، واحدا بعد واحد ، وأخروا المرأة لتتعذب بالتحسر على زوجها وأولادها، حتى إذا بلغوا إلى صغير رضيع فيهم ، فقال لأمه : يأمه قعى ولا تتقاعسى فإنك على الحق . فألقيت هى وزوجها وأولادها .

ثم أتى على قوم ترضخ (أى تضرب) رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت فقال : ياجبريل ! ماهذا ؟ فقال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع (وهو شجر شائك لاتطيق الدواب أكله لخبثه) والزقوم (وهو نبت شديد المرارة) ورضف (أى جمر) جهنم وحجارتها فقال : ياجبريل ! من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين لايؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدورهم ، ولحم آخر نىء خبيث ، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ، ويدعون النضيج الطيب ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح .

ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر ثوب ولا شيء إلا خرقته ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه .

ورأى رجلا في نهر من دم يلقم الحجارة ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل آكل الربا .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب لايستطيع حملها ، فقال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لايقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها .

وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم ، فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون .

ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم .

ومر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، يريد أن يرجع من حيث خرج فلايستطيع . فقال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها فلايستطيع أن يردها .

وبينما هو يسير إذا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى ، فقالت: يامحمد ، انظرني أسألك . فلم يلتفت إليها ، فقال : من هذه ياجبريل ؟ قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة .

ثم إذا هو بشيخ يدعوه متنحياً عن الطريق ، يقول : هلم يامحمد . فقال جبريل : بل سر يامحمد ! فقال : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه .

وسار فإذا هو بعجوز على جانب الطريق ، فقالت : يامحمد ! انظرنى أسألك ، فلم يلتفت إليها : فقال : من هذه ياجبريل ؟ قال إنه لم يبق من

عمر الدنيا إلا ما بقى من عمر هذه العجوز .

* * *

وسار حتى أتى مدينة بيت المقدس ، ودخلها من الباب اليمانى ، ثم نزل عن البراق وربطه بباب المسجد بالحلقة التى كانت تربطه بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ودخل المسجد من باب تميل منه الشمس والقمر ، ثم صلى هو وجبريل ركعتين ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير فعرف النبى النبيين من بين قائم وراكع وساجد .

ثم أذّن مؤذن وأقيمت الصلاة ، فقاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم ، فأخذ جبريل بيده صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقدمه ، فصلى بهم ركعتين ، ونزلت الملائكة من السماء ، وحشر الله له جميع الأنبياء ، فصلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالملائكة والمرسلين ، فلما انصرف قال جبريل : يامحمد ! أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : لا . قال : كل نبى بعثه الله تعالى .

ثم أثنى كل نبى من الأنبياء على ربه بثناء جميل ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : كلكم أثنى على ربه ، وأنا مثن على ربى ، ثم شرع يقول :

الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل علىّ القرآن فيه تبيان لكل شىء ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى هم الأولون والآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا خاتما .

فقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم : بهذا فضلكم محمد .

ثم أُتِىَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمعراج (وهو مصعد يشبه السلم) ، فعرج به إلى السموات العلى ، على النحو الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه مما ذكرناه آنفا .

* * *

ثم انحدر صلى الله عليه وعلى آله وسلم من السماء ، فقال لجبريل : مالى لم آت أهل سماء إلا رحبوا بى وضحكوا لى غير واحد سلمت عليه فرد علىّ السلام ورحب بى ودعا لى ولم يضحك ، فقال : ذلك مالك خازن النار ؟ لم يضحك منذ خلق ، ولوضحك لأحد لضحك لك .

فلما نزل إلى سماء الدنيا ، نظر إلى أسفل منه فإذا هو برهج (أى غبار كثيف) ودخان وأصوات فقال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على عيون بنى آدم ، لايتفكرون فى ملكوت السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب .

ثم مر منصرفا فمر بِعِير (أى قافلة) لقريش بمكان كذا وكذا وفيها جمل عليه غرارتان : غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى العِير نفرت واستدارت ، وصرع ذلك البعير وانكسر .

ومر بِعِيرٍ قد ضلوا بَعيرا لهم ، قد جمعه بنو فلان ، فسلم عليهم فقال بعضهم : هذا صوت محمد .

* * *

ثم أتى إلى أصحابه قبيل الصبح بمكة .

فلما أصبح قطع وعرف أن الناس تكذبه ، فقعد حزينا ، فمر به عدو الله

أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له — كالمستهزىء — : هل كان من شيء ؟ قال : نعم قال : ماهو ؟ قال : أسرى بى الليلة ، قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ (يعنى بين ظهرينا أى بيننا وزيدت الألف والنون للتأكيد على معنى أن ظهرا منهم قدامه وظهرا منهم وراءه ثم استعمل فى الإقامة بين القوم مطلقا) قال : نعم ، فلم يُر أنه يكذِّبه مخافةَ أن يجحده الحديثَ إن دعا قومَه إليه . وقال : أرأيتَ إن دعوتُ قومك أتحدثهم بما حدثتنى ؟ قال : نعم . قال : يامعشر بنى كعب ابن لؤى ، هلموا ، فَانفَضَّتْ إليه المجالس . وجاءوا حتى جلسوا إليهما . فقال (أبو جهل) : حَدِّثْ قومك بما حدثتنى به . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إنى أسرى بى الليلة ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قالوا : ثم أصبحتَ بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . فمن بين مصفّق ومن بين واضع يدَه على رأسه متعجبا ، وضجوا وأعظموا ذلك . فقال المطعم بن عدىّ : كل أمرك قبل اليوم كان أَمَمًا (أى قريبا أو يسيرا أو بينا) غير قولك اليوم ... أنا أشهد أنك كاذب ، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهراً ومنحدراً شهرا تزعم أنك أتيته فى ليلة ! ! واللات والعزى لا أصدقك ، فقال أبوبكر : يامطعم بئس ماقلت لابن أخيك ! جبهته وكذبته أنا أشهد أنه صادق . فقالوا : يامحمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل — وفى القوم من سافر إليه — فذهب ينعت لهم بناءه ، وهيئته كذا ، وقربه من الجبل كذا . فما زال ينعته لهم حتى التبس عليه النعت ، فكرب كربا ماكرب مثله ، فجىء بالمسجد وهو ينظر إليه ، حتى وضع دون دار عُقيل ، فقالوا : كم للمسجد من باب ؟ ولم يكن قد عدها ، فجعل ينظر إليها ويعدها بابا بابا ، ويعلمهم . وأبوبكر يقول : صدقت صدقت أشهد أنك رسول الله . فقال القوم : أما النعت

فوالله لقد أصاب ، ثم قالوا لأبى بكر : أفتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم . إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة . فبذلك سمى أبو بكر «الصديق».

ثم قالوا : يامحمد ! أخبرنا عن عِيرنا ، فقال : أتيت على عير بنى فلان بالروحاء (بينها وبين المدينة نحو أربعين ميلا) قد ضلوا ناقة لهم ، فانطلقوا فى طلبها ، فانتهيت إلى رحالهم وليس بها منهم أحد ، وإذا بقدح ماء فشربت منه . ثم انتهيت إلى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا ، وفيها جمل أحمر عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر . ثم انتهيت إلى عير بنى فلان بالتنعيم ، يقدمها جمل أورق (وهو من الإبل ما فى لونه بياض إلى سواد وهو من أطيب الإبل لحما لا سيراً وعملا) عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان ، وها هى ذى تطلع عليكم من الثنية ، قالوا : فمتى تجىء ؟ قال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، أشرفت قريش ينظرون العير وقد ولى النهار ولم تجىء فدعا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فزيد له فى النهار ساعة وحبست له الشمس حتى طلعت العير ، فاستقبلوا الإبل ، فقالوا : هل ضل لكم بعير ؟ قالوا : نعم ، قال : فاسألوا العير الآخر ، فقالوا : هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا : نعم ، قالوا : فهل كان عندكم قصعة من ماء ؟ فقال رجل : أنا والله وضعتها فما شربها أحد منا ولا أهريقت فى الأرض ، فرموه بالسحر . وقالوا : صدق الوليد (أى ابن المغيرة حيث قال إنه ساحر وقد مات الوليد كافرا) ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ [الإسراء : الآية ٦٠] وصدق الله تعالى مولانا العظيم(١١).

---

(١١) رواه ابن جرير الطبرى فى « جامع البيان » (٦/١٥ — ١١) قال : حدثنا على بن

= سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى ، عن أبى هريرة أو غيره « شك أبو جعفر » في قول الله عز وجل : ﴿ **سُبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنُرِيَه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ .

قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .. فذكره مطولاً جداً بنحو ما ههنا ، عدا أحرف أشير إليها بعد وعنده : « هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة ... » . ثم رواه أيضاً (١١/١٥) عن محمد بن عبيد الله ، قال : أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، قال : ثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية أو غيره « شك أبو جعفر » عن أبى هريرة وقال : فذكر نحو حديث على ابن سهل ، عن حجاج .

وفى الإسناد أبو جعفر الرازى ، قال الحافظ ابن كثير فى « التفسير » (٣/ ٢١) : قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازى : يهم فى الحديث كثيراً ، وقد ضعفه غيره أيضاً ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيىء الحفظ ، ففيما تفرد به نظر ، وهذا الحديث فى بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب فى المنام الطويل عند البخارى ، ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى ، أو منام ، أو قصة أخرى غير الإسراء ، والله أعلم » .

قلت : واسم أبى جعفر الرازى ، عيسى بن أبى عيسى ، قال فيه الجوزقانى : كان ممن يتفرد بالمناكير عن المشاهير ، نقله عنه الذهبى فى « المغنى » (٢/ ٤٥٦) وصرّح الحافظ الذهبى أيضاً فى « تاريخ الإسلام » (١/ ١٦٤) بأن الحديث تفرد به أبو جعفر الرازى وقال : « وليس هو بالقوى والحديث منكر يشبه كلام القصاص إنما أوردته للمعرفة لا للحجة » .

ونستطيع أن نستخلص الحكم على الحديث ، من أقوال الأئمة الذين تكلّموا عليه ، بأنه حديث منكر بهذا السياق ، والله تعالى أعلم .

هذا ، وقد جمع الشيخ على شاكر ، رحمه الله ، أحاديث شتى ، وأدخلها على حديث أبى هريرة السابق ، وساقها كلّها فى سياق واحد .

(١) فقوله : ـــ فبينما هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسير على البراق من المسجد

= الحرام إلى المسجد الأقصى ، إذ رأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من نار .. إلى قوله : « فانكب (أى الجن) على فيه وطفئت شعلته » .

فقد ورد عن عدة من الصحابة رضى الله عنهم ، ولكن بدون قيده بقصة الإسراء والمعراج ، منهم :

عبد الرحمن بن خنبش ؛ بمعجمة ثم نون ثم باء موحدة بوزن جعفر[1] ؛ رواه الإمام أحمد (٤١٩/٣) قال : ثنا سيار بن حاتم أبو سلمة العنزى قال ثنا جعفر — يعنى ابن سليمان — قال ثنا أبو التياح قال : قلت لعبد الرحمن بن خنبش التميمى وكان كبيراً : أدركتَ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ قال:نعم . قال : قلت : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة كادته الشياطين ؟ فقال : إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال:يامحمد قل . قال : ما أقول؟قال : قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن. قال: فطفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى .. » .

ثم رواه أيضاً الإمام أحمد (٤١٩/٣) عن عفان ، ثنا جعفر بن سليمان ، به فذكره بنحوه واللفظ لعفان ، والله أعلم .

وهذا إسناد حسن ، جعفر بن سليمان الضُبعى ، صدوق زاهد ، كما فى « التقريب » .

وفى الباب عن خالد بن الوليد ، وابن مسعود ، وإن كانت طرقه لا تخلو من متكلّم فيه ، ولكن يشهد له حديث ابن خنبش المتقدم ، فيشد بعضه بعضاً ، والله أعلم .

(ب) وقوله : —

« ثم سار فوجد ريحاً طيبة ، فقال : ياجبريل ما هذه الرائحة ؟ قال : هذه رائحة=

(١) انظر « الإصابة فى تمييز الصحابة » للحافظ ابن حجر (٣٩٦/٢) وبهامشه « الاستيعاب » لابن عبد البر .

....

ماشطة بنت فرعون ... » فهو من حديث ابن عباس رواه الإمام أحمد (٢٨٢٢) والحاكم (٤٩٦/٢ — ٤٩٧) من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عنه ، مرفوعاً بنحوه عدا قوله : « يا أمه قعى ولا تتقاعسى فإنك على الحق » . فهو للبيهقى وقال : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبى .

وقال ابن كثير فى « التفسير » (١٥/٣) : « إسناد لا بأس به ولم يخرجوه » ؛ قلت : ولكن فى إسناد الحديث عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط[1] ، ورواية حماد بن سلمة عنه فى جملة من روى عنه قبل الاختلاط وبعده فيتوقف فيها حتى يتبين الحال لاحتمال أن يكون سمعه منه فى حالة الاختلاط فيعامل معاملة الحديث الضعيف ، والله أعلم .

(ج) وقوله :

« فلما نزل إلى سماء الدنيا ، نظر إلى أسفل منه فإذا هو برهج ودخان وأصوات .. فهو من حديث أبى هريرة ، رواه أحمد (٣٥٣/٢ و ٣٦٣) من طريق حماد بن سلمة ، عن على بن زيد بن جُدعان ، عن أبى الصلت ، عنه مرفوعاً بنحوه .

وهذا إسناد ضعيف فيه علتان :

– على بن زيد بن جُدعان ، تكلّم فيه الأئمة ، قال الحافظ فى « التقريب » : « ضعيف » ، وقال الذهبى فى « المغنى » قال أحمد : « ليس بشىء » وقال أبو زرعة:« ليس بقوى يهم ويخطىء » وقال أبو حاتم : « لا يحتج به » .

– وأبو الصلت ، عن أبى هريرة ، قال الحافظ فى « التقريب » : « مجهول » فالإسناد ضعيف .

ورواه أيضاً ابن ماجه (٢٢٧٣) من طريق حماد بن سلمة به مختصراً . واللفظ لأحمد فى الموضع الأول .

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير فى « التفسير » (٥٢٠/٢) . وقال : وعلى بن زيد بن جُدعان له منكرات .

(د) وقوله : —

«ثم أتى إلى أصحابه قبيل الصبح بمكة ... » . فهو من حديث ابن عباس رواه الإمام=

(١) انظر ترجمته فى « تهذيب التهذيب » .

....

= أحمد (٢٨٢٠) من طريق عوف — وهو ابن أبى جميلة — عن زرارة بن أوفى ، عنه مرفوعاً به — عدا أحرف أشير إليها بعده — وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الصحيح .

(هـ) وقوله : —

« فقال المطعم بن عدى : كل أمرك قبل اليوم كان أمماً (أى قريباً أو يسيراً ...) .. »

فهو من حديث أم هانىء رضى الله عنها ، رواه أبو يعلى : ثنا محمد بن إسماعيل بن على الوساوسى ، ثنا صخر بن ربيعة ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى ، عن أبى صالح مولى أم هانىء ، عنها ، فذكره مطولاً ، وقال الحافظ الذهبى فى « تاريخ الإسلام » (١٤٤/١) : « هو حديث غريب ، الوساوسى ضعيف » .

(و) وقوله : —

« ثم قالوا لأبى بكر : أفتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ .. » إلى قوله : « فبذلك سُمِّى أبو بكر الصديق » .

فهو من حديث عائشة رضى الله عنها ، رواه الحاكم (٦٢/٣ — ٦٣) من طريق محمد ابن كثير الصنعانى حدثنا معمر بن راشد عن الزهرى ، عن عروة ، عنها بنحوه ، وقال : « صحيح الإسناد » . ووافقه الذهبى .

ورواه أيضاً (٧٦/٣ — ٧٧) من طريق محمد بن كثير الصنعانى ، به وقال : « صحيح على شرط الشيخين » .

قلت : وفى إسناده : محمد بن كثير الصنعانى أبو يوسف ، ضعفه أحمد ، وقال ابن معين : « صدوق » وقال النسائى : « ليس بالقوى »[1].

ولخص الحافظ حاله فى « التقريب » فقال : « صدوق كثير الغلط » .

فمثله لا يحتج به إذا انفرد ، ولكنه لا بأس به فى المتابعات والشواهد ، ومن هنا تعلم أنه ليس على شرط الصحيح ، فضلاً عن أن يكون على شرط الشيخين ، والله أعلم .

(ز) وقوله : —

« ثم قالوا : أخبرنا عن عيرنا ... إلى قوله « فقال رجل : أنا والله وضعتها فما شربها أحد منا ، ولا أهريقت فى الأرض » .

فهو من حديث أم هانىء أيضاً ، رواه الطبرانى فى « الكبير » وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٧٦/١) : « وفيه عبد الأعلى بن أبى المساور متروك كذاب » .

---

(١) « المغنى » للذهبى (٢٥٧/٢) .

وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكى أن بعثة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانت السابع عشر من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة .

وقد اختلف العلماء فى سنة الإسراء ، فقال بعضهم إنه كان بعد البعث بخمس سنوات أو ست ، وقال بعضهم : إنه بعده بعشر سنين وثلاثة أشهر ، وقال بعضهم : إنه كان فى السنة الثانية عشرة من البعث ، وادعى الإمام ابن حزم الإجماع على ذلك . وعلى أى قول من هذه الأقوال فقد اتفق جمهور العلماء على أن الإسراء كان قبل الهجرة .

واختلفوا فى شهره وليلته ، فقال بعضهم : إن الإسراء كان فى شهر ربيع الأول ، وقيل : فى شهر ربيع الآخر ، وقيل : فى شهر رمضان ، وقيل : فى شوال ، وعن ليلته ، قالوا : إنه كان فى الليلة السابعة والعشرين من الشهر ، وكانت ليلة سبت ، وقيل : كانت ليلة جمعة ، وقد جزم الإمام النووى بأنه كان فى رجب .

وجرى الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى فى سيرته على أنه كان فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب وهذا الرأى هو الذى سار عليه عمل المسلمين إلى الآن واتخذت الدولة المصرية هذه الليلة عيدا تحتفل فيها بالإسراء وتقرأ فيها هذه القصة الشريفة[1].

* * *

(١) فى تحديد وقت الإسراء والمعراج اختلاف كثير ، وإن كان اتفق أكثر العلماء على أنه كان بعد البعث ، ثم اختلفوا فى أى سنة كان وكذا فى أى شهر من الشهور كان ، وفى ذلك اختلاف كثير يزيد على عشرة أقوال ، ولم يقم دليل واضح على صحة قول من هذه الأقوال ، فيلزم الأخذ به دون ما سواه ، وعليه فتحديد ليلة الإسراء والمعراج بأنها فى رجب ليلة السابع والعشرين ليس عليه دليل يدل على رجحانه على سائر الأقوال الأخرى ، والله أعلم . ثم ما يترتب على هذا التحديد من اتخاذه =

وأجمع علماء المسلمين على صحة الإسراء والعروج ووقوعهما . بيد أن فريقا منهم ذهب إلى أن ذلك كان بالروح فقط أخذا بما رواه بعضهم عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، وبما ذهب إليه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه . وذهب فريق إلى أن الإسراء إلى بيت المقدس كان يقظة بالروح والجسد ، وأن العروج إلى السماء كان بالروح فقط .

وذهب جمهور السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام إلى أن الإسراء إلى بيت المقدس والعروج إلى السماء كان يقظة بالروح والجسد .

وهو قول عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وعمر بن الخطاب ، وأبى هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبى حبة البدري ، وعبد الله بن مسعود من الصحابة.والضحاك بن مزاحم الهلالّى ، وسعيد بن جبير ، وقتادة بن دعامة ، وابن المسيب ، وابن شهاب الزهرى ، وابن زيد ، والحسن البصرى ، وإبراهيم النخعى ، ومسروق بن الأجدع ، ومجاهد بن جبير ، وعكرمة وابن جريج ، من التابعين .

وهو قول أكثر المتأخرين ، من الفقهاء والمحدثين ، والمتكلمين والمفسرين ، وهو القول الصحيح ، المؤيد بصريح القرآن ، وصحيح الأخبار .

وأغلب الرأى أن ماروى عن عائشة ومعاوية لم يصح عنهما ، لأن عائشة كانت إذ ذاك صغيرة ولم تكن زوجة أو لم يدخل بها صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فكيف يصح عنها أن تقول : ما فقدت جسد رسول الله صلى

= عيداً ويجتمع فيه المصلون في كل عام ، فهذا أيضاً ليس بمشروع[1] إذ لم يجر عليه العمل فى الصدر الأول ، والله أعلم .

(١) انظر كتاب « الإبداع » للشيخ على محفوظ ، رحمه الله ، فصل : المواسم التى نسبوها للشرع وليست منه ص ٢٧٢ .

الله عليه وعلى آله وسلم ، والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مادخل بها إلا بعد الهجرة فى المدينة ، وإنكارها رؤية محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لربه ، لا يفيد إنكارها لقصة المعراج وهو ليس فى موضوعنا فى شىء .

وأما معاوية رضى الله عنه فإنه لم يُسْلِم إلا عام الفتح مع أبيه ، وبعد الهجرة بعدة سنين ، فالحق ما ذهب إليه الجمهور ، والله تعالى أعلم .

* * *

على أن بعض الجامدين فى هذا العصر ، من الذين تلقوا شيئا من قشور العلوم الأوربية ، يقفون من هذه القصة وغيرها من المعجزات موقف السذج والبله ، ويزعمون أن شيئا من هذا لا يمكن أن يقبله العقل ولا أن يقره العلم .

أما العقل ... فحقيقة أن العقل القاصر البسيط الذى لم يتم تكوين جوهره تكوينا صحيحا ، لايستطيع أن يسيغ مثل هذه المعلومات العلوية الضخمة التى أيقن بها جبابرة العقول ، وعقل هؤلاء الجامدين هذا وربك فى القرن العشرين لا فرق بينه وبين عقول الجامدين من كفار قريش فى العصور البائدة .

وأما أن العلم لايقر مثل هذه القصة بعد صحة وقوعها ، فأنا أقول لهؤلاء الجامدين بصريح العبارة ، إنهم كذبوا ، وأقولها بملء فمى إنهم كذبوا ، ولا أقول إنهم أخطأوا ، لأن الخطأ إنما يكون فى طريق العلماء ، أما الجاهل الذى يدعى العلم ، فهو كاذب بكل ما فى معنى هذه الكلمة من خطورة .

* * *

يتشدق هؤلاء الجامدون باسم العلوم العصرية الحديثة ، ويحاولون فى ذات أنفسهم أن ينكروا الخوارق ومعجزات الأنبياء ويحركون ألسنتهم بكلمات مزيفة ؛ تناقلوها عن بعض ملاحدة أوروبا من فلاسفة الماديين ، لأن عقولهم

القاصرة لا تستطيع أن تتابع الوثبات الجريئة التى يثبها العلم بين أيدينا فى كل لحظة ، وهذه القشور من كلمات الماديين لا تصلح لأن تكون غذاء كافيا لهذه العقول ، حتي يمكنها أن تنهض إلى المستوى الحقيقى الذى يتعالى فيه العلم بعظمته وجلاله .

* * *

كان الفلاسفة الماديون ينكرون ما وراء المادة ، ويفيضون على العقول صيبا من الشبهات ، وأوقعوا بكثير من الناس فى حيرة من الخور العلمى ، فتابعوهم ، ولم يستطع الفريق المخالف لهم أن يقوم عليهم بالحجة الكافية .

حتى إذا كانت سنة ١٨٤٦ ميلادية ، ظهر فى قرية (هيدسفيل) فى مقاطعة نيويورك بأمريكا ، العلامة (فيكمان) بمبدأ الاسبرتزم وهو علم مناجاة الأرواح ، وأخذ هذا العلم ينتشر حتى وصل إلى الصميم من أذهان الفلاسفة .

واضطرت أوروبا فى سنة ١٨٦٩ إلى عقد مؤتمر من أكابر علماء لوندرة تحت رئاسة (اللورد أفبرى) لتحقيق الخوارق المدهشة التى أثبتها علم مناجاة الأرواح .

فكانت النتيجة الباهرة ، أن هذا العلم صرع الماديين فى فلسفتهم صرعة لا قومة لهم بعدها ، وأخذ كثير من فلاسفة أوروبا يؤمنون بما وراء المادة ، وتركوا مذهب الماديين وراءهم ظهريا .

ولا أستطيع بطبيعة الحال فى هذه الرسالة ، أن أحصى فلاسفة أوروبا الذين اعتنقوا علم مناجاة الأرواح ، ولا أن أذكر جميع ما قالوه فى ذلك ، وأكتفى الآن بذكر نبذة قصيرة مما كتبه الأستاذ (متزجر) السويسرى فى كتابه (الاسبرتزم العلمى) ، قال :

(هذه حقائق جديدة فى الواقع ونفس الأمر ، ولكن ما أجل فوائدها ، وأعظم عوائدها ، فإن هيئاتنا الاجتماعية فى هبوط مستمر ، ولقد أصبح الناس يتساءلون بقلوب يملؤها الأسف والأسى عما ستؤول إليه حالة مدنيتنا المتنازعة من كل جانب ، والتى افترسها مذهب الماديين المحتاج للفضائل ، والذى بقتله عواطف الجرى وراء الكمال ، وبمحوه أنوار مستقبلها ، يدفعها لغشيان كل ما يطوف بفكره من الملاذ الجسدية من غير مبالاة بوسائل الحصول عليها ، بعد هذا كله ألا يكون إقامة الأدلة العلمية على ضلال الذين يجحدون وجود الروح ، وبيان أننا لا محالة مجزيون على جميع أفعالنا وأفكارنا ، هو أنجع العلاجات لهذا الجنون الكثير الأشكال ، هذا هو تأثير علم مناجاة الأرواح ، وسيكون تأثيره دائما كذلك فيما نرى) ، اهـ ، كما نقلها الأستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف .

* * *

وعلى أساس هذا العلم ، فإن إسراء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعروجه إلى السموات العلى كان بالروح والجسد معا[1] فقد أثبت علماؤه

---

(١) ولِمَ لا ، وقد صعد أقوام من الأعاجم إلى الفضاء ، بالسفن الفضائية ، يرومون بذلك كشف سر الكواكب الأخرى ، فمنهم من صعد إلى القمر ، ومنهم من صعد إلى المريخ ، وغيره ، رحلات تتلوها رحلات لاستكشاف المجال الفضائى ، وتتناقل وسائل الإعلام المختلفة تلك الرحلات بكل إكبار وتقدير للعلم الحديث ورجاله ، بغير شك ولا جدال ، وهذه الكشوف من نتاج العقل البشرى وفى حدود القدرة البشرية ، فما بال بعضهم يتردد فى التصديق برحلة الإسراء والمعراج النبوية التى قامت بأمر خالق الكون بما فيه ، ومالك الملك لِيُرِىَ نبيَّه من عجائب صنعه وعظيم قدرته وآياته الكبرى ، فهذا من ذاك مع الإذعان بأن قدرة الله لا حدود لها ولا منتهى ، لأنها قدرة الخالق العظيم .

فى تجاربهم الكثيرة التى أمضوا فيها عشرات السنين ، أن الأرواح كانت تأتيهم بالزهور الندية الغضة من الصين والهند ، بل وكانت تأتيهم بالخزانات الثقيلة فى لحظات من أماكنها البعيدة ، فتمرها من خلال الحوائط على مرأى منهم ومسمع ، فهل يمكن لعقل مثقف بعد هذا ، أن يقول باسم العلم ، إن من المستحيل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى أن يسرى بعبده روحا وجسدا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم إلى سدرة المنتهى ، ليريه من آيات ربه الكبرى وعجائب الملكوت ، إجلالا لشأن النبوة العظمى ، وتأييدا لها بهذه المعجزة الباهرة ، التى صدقها أبوبكر رضى الله عنه بقوة إيمانه ويقينه ، وسمى من أجل ذلك بالصّدّيق ؟ !

* * *

على أن العلم الحديث لم يقف بنا عند هذا الحد فقط ، فإن سلسلة الاختراعات والاكتشاف العلمية فى هذا العصر ، فيها مايؤيد معجزات الأنبياء أكبر تأييد ، وبالأخص هذه القصة ، فإن سهولة النقل وسرعته بالطيارات وغيرها ، وما أودعه الله سبحانه وتعالى من قوة فى الأثير والكهرباء والمغناطيس ، والتى استخدمها العلم فى الراديو والتلغراف والتليفون السلكى واللاسلكى ، وما وصل إليه علماء الفلك والطبيعة وغيرها من القوات المدهشة فى الكون كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على أن كثيرا مما كان يعده العلم القديم فى عداد المستحيلات ، قد أصبح الآن حقيقة ملموسة لايجادل فيها مجادل .

وإذا كان العلم البشرى قد وصل إلى تحقيق فكرة التليفون المصور ، بما استخدمه من الوسائل الكونية ، أفلا يكون فى استطاعة الله سبحانه وتعالى الذى خلق العالم وأبدع نظامه ، أن يسخر قوة الأثير والكهرباء والمغناطيس

وغيرها بما هو فوق طاقة البشر بمراحل كثيرة .

* * *

وإذا كان التليفون اللاسلكى ينقل إلينا صورة المتكلم على أبعاد شاسعة ، فهل فى استطاعة العلم بعد هذا أن ينكر على الله سبحانه وتعالى ، أنه أتى لنبيه بصورة بيت المقدس يستعرضه أمامه ليدل كفار قريش على مبلغ صدق نبيه الصادق الأمين ، فيما رواه من حقيقة الإسراء بالروح والجسد يقظة فى هذه الليلة الجليلة القدر ، وما يدرينا ما الذى سيحدثه لنا العلم فى الغد من العجائب والمدهشات ؟ .

* * *

ولا أشك ساعة من نهار أن العلم الحديث فى مقبل الأيام سيكون أكبر نصير للدين فى إقامة الحجة على الضالين المضلين .

هذا العلم الذى حاول ملاحدة الماديين استخدامه لتقويض دعائم الدين ، هو الذى سيتقدم إن شاء الله تعالى بكل تجلة واحترام إلى الدين ليرفعه من موطن الإنكار إلى مقام اليقين .

بل إن العلم هو الذى سيرفع نفسه تحت عرش الدين حتى يصل إلى الحقائق الإلهية التى قررها الدين الإسلامى الحنيف منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا بكل وضوح وجلاء .

* * *

فَلْيقف الملاحدة من حقائق الإسلام موقفهم ، كما وقف من قبلهم أبوجهل ومن تابعه من عصابة المشركين ، حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ، والله من ورائهم محيط .

* * *

وحسب الرجل منا أن يقول لهم كما قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى حجة الوداع : ألاهل بلغت ، اللهم اشهد .

* * *

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

خاتمـــة

تمت رسالة الإسراء والمعراج ، وما أدعى أن لى فيها شيئا من فضل ، إذ الفضل كله لله سبحانه وتعالى ، ثم للسلف الصالح من علمائنا ، الذين أوضحوا لنا الطريق ، وسهلوا لنا سبل التحقيق ، ولولا مخافة الإطالة ، لرددت إلى كل ذى فضل فضله على حدته ، وَلَأَبَنْتُ مواضع النقل موضعا فموضعاً ، مما لايخفى على كثير من القراء الكرام ، وحسبى من هذا كله ، أن أغمس قلمى فى بحر أهل العلم وأن أنهج المنهج الذى نهجوه ، وأسأل الله تعالى التوفيق ، فنعم المولى ونعم الرفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير ، فنعم المولى ونعم النصير .

على محمد شاكر

قاضى محكمة مغاغة الشرعية

فهـرس